العَهْدُ المَدَنِيُّ

مَرَاحِلُ الدَّعْوَةِ وَالجِهَادِ فِي العَهْدِ المَدَنِيِّ:

يمكن تقسيم العهد المدنى إلى ثلاث مراحل:

١ـ مَرْحَلَةُ تَأْسِيسِ المجتَمَعِ الإِسْلَامِيِّ وَتَمْكِينِ الدَّعْوَةِ الإِسْلَامِيَّةِ:

وقد أثيرت فى هذه المرحلة القلاقل والفتن من الداخل وزحف الأعداء من الخارج؛ ليستأصلوا شأفة المسلمين، ويقلعوا الدعوة من جذورها وقد انتهت هذه المرحلة بتغلب المسلمين وسيطرتهم على الموقف مع عقد صلح الحديبية فى ذى القعدة سنة ست من الهجرة.

٢ـ مَرْحَلَةُ الصُّلْحِ مَعَ العَدُوِّ الأَكْبَرِ:

والفراغ لدعوة ملوك الأرض إلى الإسلام وللقضاء على أطراف المؤمرات، وقد انتهت هذه المرحلة بفتح مكة فى رمضان سنة ثمان من الهجرة.

٣ـ مَرْحَلَةُ اسْتِقْبَالِ الوُفُودِ وَدُخُولِ النَّاسِ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا:

وقد امتدت هذه المرحلة إلى وفاة الرسول ﷺ فى ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة[1].

* * *

(١) الرحيق المختوم ص ١٦٧.

المَرْحَلَةُ الأُولَى: بِنَاءُ المجْتَمَعِ الجَدِيدِ

أُسُسُ المجْتَمَعِ الجَدِيدِ:

لقد كانت هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة تعنى نشأة أول دار إسلام إذ ذاك على وجه الأرض ؛ وقد كان ذلك إيذانًا بظهور الدولة الإسلامية بإشراف منشئها الأول محمد ﷺ؛ ولذا كان أول عمل قام به الرسول ﷺ أن أقام الأسس الهامة لهذه الدولة ولقد كانت هذه الأسس ممثلة فى هذه الأعمال الثلاثة التالية:

أولاً: بناء المسجد .

ثانيًا: المؤاخاة بين المسلمين عامة والمهاجرين والأنصار خاصة .

ثالثًا: كتابة وثيقة (دستور) حددت نظام حياة المسلمين فيما بينهم وأوضحت علاقتهم مع غيرهم بصورة عامة واليهود بصورة خاصة[1] .

أَوَّلاً : بِنَاءُ المسْجِدِ:

بعد وصول النبى ﷺ إلى المدينة وانتقاله إلى بيت أبى أيوب شرع فى بناء المسجد النبوى واختار له المكان الذى بركت فيه ناقته ﷺ فاشتراه من غلامين يتيمين كانا يملكانه ، وأسهم فى بنائه بنفسه فكان ينقل اللبن والحجارة ويقول: «**اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة**» وكان ذلك مما يزيد نشاط الصحابة فى العمل ؛ حتى إن أحدهم ليقول: لئن قعدنا والنبى يعمل لذلك منا العمل المضلل .

وكانت فى ذلك المكان قبور المشركين وكان فيه خرب ونخل وشجرة من غرقد ؛ فأمر رسول الله ﷺ بقبور المشركين فنبشت وبالخرب فسويت وبالنخل والشجرة فقطعت ، وصفت فى قبلة المسجد وكانت القبلة إلى بيت المقدس وجعلت عضادتاه من حجارة وأقيمت حيطانه من اللبن والطين ؛ وجعل سقفه من جريد النخل وعمده الجذوع وفرشت أرضه بالرمال والحصباء ، وجعلت ثلاثة أبواب ، وطوله مما يلى القبلة إلى مؤخره مائة ذراع .

والجانبان مثل ذلك أو دونه وكان أساسه قريبًا من ثلاثة أذرع ، وبنى بجانبه بيوتًا بالحجر واللبن وسقفها بالجريد والجذوع ، وهى حجرات أزواجه ﷺ وبعد تكامل

---

(١) فقه السيرة للبوطي ١٥١ .

الحجرات انتقل إليها من بيت أبى أيوب ، ولم يكن المسجد موضعًا لأداء الصلوات فحسب بل كان جامعة يتلقى فيها المسلمون تعاليم الإسلام وتوجيهاته ، ومنتدى تلتقى وتتآلف فيه العناصر القبلية المختلفة التى طالما نافرت بينها النزاعات الجاهلية وحروبها وقاعدة لإدارة جميع الشئون وبث الانطلاقات وبرلمان لعقد المجالس الاستشارية والتنفيذية .

وكان مع هذا كله دارًا يسكن فيها عدد كبير من فقراء المهاجرين اللاجئين الذين لم يكن لهم هناك دار ولا مال ولا أهل ولا بنون ، وقد شرع الأذان فى أوائل الهجرة وقد تشرف برؤيته فى المنام عبد الله بن زيد بن عبد ربه - رضى الله عنه- وقد وافقت رؤياه عمر بن الخطاب - رضى الله عنه- فأقره النبى ﷺ [١] .

ثانيًا: المؤَاخَاةُ بَيْنَ المسْلِمِينَ:

قال ابن القيم: آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار فى دار أنس بن مالك ، وكانوا تسعين رجلاً ؛ نصفهم من المهاجرين ، ونصفهم من الأنصار ، آخى بينهم على المواساة ويتوارثون بعد الموت دون ذوى الأرحام إلى حين وقعة بدر[٢] .

فجعل جعفر بن أبى طالب ومعاذ بن جبل أخوين ، وجعل حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة أخوين ، وجعل أبا بكر الصديق رضى الله عنه وخارجة بن زهير أخوين ، وعمر بن الخطاب وعتبان بن مالك أخوين . . وهكذا[٣] عن أبى هريرة - رضى الله عنه- قال: قالت الأنصار للنبى ﷺ : اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل قال: «لا» فقالوا: أتكفونا المؤنة ونشرككم فى الثمرة؟ قالوا: سمعنا وأطعنا .

وعن أنس - رضى الله عنه- أنه قال: قدم علينا عبد الرحمن بن عوف وآخى النبى ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع ؛ وكان كثير المال فقال سعد: قد علمت الأنصار أنى من أكثرها مالاً ؛ سأقسم مالى بينى وبينك شطرين- نصفين- ولى امرأتان فانظر أعجبهما إليك فأطلقتها ؛ حتى إذا حلت تزوجتها ، فقال عبد الرحمن: بارك الله لك فى أهلك فلم يرجع يومئذ حتى أفضل شيئًا من سمن وأقط[٤] فلم يلبث إلا يسيرًا ؛ حتى جاء رسول

---

(١) الرحيق المختوم ١٧٤ - ١٧٥ .
(٢)الرحيق المختوم ١٧٤ - ١٧٥ .
(٣) فقه السيرة للبوطي ١٥٥ - ١٥٦ .
(٤) الأقط: قطع الجبن .

الله ﷺ وعليه وضر من صفرة فقال له رسول الله ﷺ : «**مهيم**» [١] قال تزوجت امرأة من الأنصار قال: «**ما سقت فيها**» ؟" قال وزن نواة من ذهب - أو نواة من ذهب- فقال: «**أَوْلِمْ ولو بشاة**» [٢] وظلت عقود هذا الإخاء مقدمة على حقوف القرابة إلى موقعة بدر الكبرى حيث نزل فى أعقابها قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الأنفال: ٧٥] فنسخت هذة الآية ما كان قبلها وانقطع أثر المؤاخاة الإسلامية فى الميراث ، ورجع كل إنسان فى ذلك إلى نسبه وذوى رحمه وأصبح المؤمنون كلهم إخوة[٣] .

ثالثًا : كِتَابَةُ وَثِيقَةِ بَيْنَ المسْلِمِينَ وَغَيْرِهِمْ :

وكما قام رسول الله ﷺ بعقد هذه المؤاخاة بين المؤمنين قام بعقد معاهدة أزاح بها ما كان بينهم من حزازات فى الجاهلية وما كانوا عليه من نزعات قبلية جائرة ، واستطاع بفضلها إيجاد وحدة إسلامية شاملة وفيما يلى بنودها ملخصًا:

هذا كتاب من محمد النبى ﷺ بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم:

١- إنهم أمة واحدة من دون الناس .

٢- المهاجرون من قريش على ربعتهم[٤] يتعاقلون بينهم وهم يفدون عانيهم[٥] بالمعروف والقسط بين المؤمنين وكل قبيلة من الأنصار على ربعتهم ، يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة منهم نفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

٣- وإن المؤمنين لا يتركون مفرحًا[٦] بينهم أن يعطوه بالمعروف فى فداء أو عقل .

٤- وإن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيعة[٧] ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين .

---

(١) مهيم: ما شأنك؟! .
(٢) سيرة الرسول أبو عمار ٢٢٥ - ٢٢٦ .
(٣) فقه السيرة البوطي ١٥٦ .
(٤) ربعتهم: حالهم قبل الإسلام .
(٥) عانيهم: أسيرهم .
(٦) مفرحا: المثقل من الدين والعيال .
(٧) دسيعة: عطية .

٥- وإن أيديهم عليه جميعًا ولوكان ولد أحدهم .

٦- ولا يقتل مؤمن مؤمنًا فى كافر .

٧- ولا ينصر كافر على مؤمن .

٨- وإن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم .

٩- وإن من تبعنا من يهود فإن له النصرة والأسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم .

١٠- وإن سلم المؤمنين واحدة لا يسالم مؤمن دون مؤمن فى قتال فى سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم .

١١- وإن المؤمنين يبئ [١] بعضهم على بعض بما نال دماءهم فى سبيل الله .

١٢- وإنه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسًا ولا يحول دونه على مؤمن .

١٣- وإنه من اعتبط[٢] مؤمنًا قتلاً عن بينة فإنه قود به إلا أن يرضى ولى المقتول .

١٤- وإن المؤمنين عليه كافة ولا يحل لهم إلا قيام عليه .

١٥- وإنه لا يحل لمؤمن أن ينصر محدثًا ولا يؤويه ، وأنه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل .

١٦- وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مردَّه إلى الله - عز وجل- وإلى محمد ﷺ [٣] .

أَثَرُ المَعْنَوِيَّاتِ فِى المجْتَمَعِ :

بهذه الحكمة وبهذا التدبير أرسى رسول الله ﷺ قواعد مجتمع جديد كانت صورته الظاهرة بيانًا وآثارًا للمعانى التى كان يتمتع أولئك الأمجاد بفضل صحبة النبى ﷺ ، وكان النبى ﷺ يتعهدهم بالتعليم والتربية وتزكية النفوس والحث على مكارم الأخلاق ويؤدبهم بآداب الود والإخاء والمجد والشرف والعبادة والطاعة .

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ الاسْلامِ خَيْرٌ

---

(١) يبئ: يمنع ويكف .

(٢) اعتبط: قتله بلا جناية .

(٣) الرحيق المختوم ١٧٦ - ١٧٧ .

قَالَ[١]: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ وَتَقْرَأُ السَّلامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ» .

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلامٍ قَالَ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ وَقِيلَ[٢]: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لأَنْظُرَ إِلَيْهِ فَلَمَّا اسْتَبَنْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ فَكَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلامَ وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلامٍ».

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ[٣]: «لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ».

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ[٤]: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ» .

عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ[٥]: «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ».

عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ [٦]: «الْمُسْلِمُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ إِنْ اشْتَكَى عَيْنُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ وَإِنْ اشْتَكَى رَأْسُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ» .

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ[٧]: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ» بَعْضًا وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ .

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ[٨]: «لا تَبَاغَضُوا وَلا تَحَاسَدُوا وَلا تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، وَلا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ» .

عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ[٩]: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لا يَظْلِمُهُ وَلا يُسْلِمُهُ وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» .

---

(١) رواه البخاري ١٢ .
(٢) رواه الترمذي ١٣٣٤ ، ابن ماجة ٣٢٥١ .
(٣) رواه مسلم ٤٦ .
(٤) رواه البخاري ١٠ .
(٥) رواه البخاري ١٣ .
(٦) رواه مسلم ٢٥٨٦ .
(٧) رواه البخاري ٢٤٤٦ .
(٨) رواه البخاري ٦٠٦٥ .
(٩) رواه البخاري ٢٤٤٢ .

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ[١]: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمْ الرَّحْمَنُ ارْحَمُوا أَهْلَ الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ أَهْلُ السَّمَاءِ وَالرَّحِمُ شُجْنَةٌ مِنْ الرَّحْمَنِ مَنْ وَصَلَهَا وَصَلَتْهُ وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَّتْهُ».

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ[٢]: «سِبَابُ الْمُؤْمِنِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ».

وكان يجعل إماطة الأذى عن الطريق صدقة ويعدها شعبة من شعب الإيمان، وكان يحثهم على الإنفاق ويذكر من فضائله ما يقع موقعه من القلوب فكان يقول:

عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ[٣]: «الصَّلاةُ بُرْهَانٌ وَالصَّوْمُ جُنَّةٌ حَصِينَةٌ وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ».

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ[٤]: «أَيُّمَا مُسْلِمٍ كَسَا مُسْلِمًا ثَوْبًا عَلَى عُرْيٍ كَسَاهُ اللَّهُ مِنْ خُضْرِ الْجَنَّةِ وَأَيُّمَا مُسْلِمٍ أَطْعَمَ مُسْلِمًا عَلَى جُوعٍ أَطْعَمَهُ اللَّهُ مِنْ ثِمَارِ الْجَنَّةِ وَأَيُّمَا مُسْلِمٍ سَقَى مُسْلِمًا عَلَى ظَمَإٍ سَقَاهُ اللَّهُ مِنْ الرَّحِيقِ الْمَخْتُومِ».

عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ[٥]: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ».

وبجانب هذا كان يحث حثًّا شديدًا على الاستعفاف عن المسألة، ويذكر فضائل الصبر والقناعة، ويبين لهم ما فى العبادات من الفضائل والأجر والثواب عند الله؛ حتى وصلوا إلى أعلى قمة من الكمال عرفت فى تاريخ البشر بعد الأنبياء.

بمثل هذا استطاع النبى ﷺ أن يبنى مجتمعًا جديدًا أروع وأشرف مجتمع عرفه التاريخ[٦].

مُعَاهَدَةٌ مَعَ اليَهُودِ:

بعد أن أرسى رسول الله ﷺ قواعد مجتمع جديد وأمة إسلامية جديدة بإقامة الوحدة العقدية والسياسية والنظامية بين المسلمين بدأ بتنظيم علاقاته بغير المسلمين وكان قصده

---

(١) رواه أحمد ٦٤٥٨.
(٢) رواه أحمد ٤١٦٧.
(٣) رواه الترمذي ٦١٤.
(٤) رواه الترمذي ٢٤٤٩.
(٥) رواه البخاري ٦٠٢٣.
(٦) الرحيق المختوم ١٧٧ - ١٧٨.

بذلك توفير الأمن والسلام والسعادة والخير للبشرية جمعاء، وأقرب من كان يجاور المدينة من غير المسلمين هم اليهود؛ فعقد رسول الله ﷺ معهم معاهدة أهم بنودها ما يلى:

١- إن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم وكذلك لغير بنى عوف من اليهود.

٢- وإن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم.

٣- وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة.

٤- وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم.

٥- وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه.

٦- وإن النصر للمظلوم.

٧- وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.

٨- وإن يثرب حرام جوفها؛ لأهل هذه الصحيفة.

٩- وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده؛ فإن مرده إلى الله - عز وجل- وإلى محمد رسول الله ﷺ.

١٠- وإنه لا تجار قريش ولا من نصرها.

١٢- وإن بينهم النصر على من دهم يثرب على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم.

١١- وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم[1].

العِبَرُ وَالعِظَاتُ:

١- أهمية المسجد فى المجتمع الإسلامى؛ فالتقاء المسلمين فى اليوم خمس مرات يؤدى إلى تحقيق العدل والمساواة والتآلف والتآخى بين المسلمين.

٢- إن أى دولة لا يمكن أن تنهض وتقوم إلا على أساس من وحدة الأمة وتساندها، ولا يمكن لكل من الوحدة والتساند أن يتم بغير عامل التآخى والمحبة المتبادلة؛ ولذلك حرص رسول الله ﷺ على المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار؛

(١) الرحيق المختوم ١٨٠.

لتتآلف الأمة وتنهض .

٣- إن التآخى لا بد أن يكون مسبوقًا بعقيدة يتم اللقاء عليها والإيمان بها ؛ فالتآخى بين شخصين يؤمن كل منهما بفكرة أو عقيدة مخالفة للأخرى خرافة ووهم خصوصًا إذا كانت تلك الفكرة أو العقيدة مما يحمل صاحبها على سلوك معين فى الحياة العملية ، ومن أجل ذلك فقد جعل رسول الله ﷺ أساس الأخوة التى جمع عليها أفئدة أصحابه العقيدة الإسلامية التى جاءهم بها من عند الله ، والتى تضع الناس كلهم فى مصاف العبودية الخالصة لله - تعالى- دون الاعتبار لأى فارق إلا فارق التقوى والعمل الصالح ؛ إذ ليس من المتوقع أن يسود الإخاء والتعاون والإيثار بين أناس شتتهم العقائد والأفكار المختلفة فأصبح كل منهم ملكًا لأنانيته وأثرته وأهوائه[1] .

٤- تحمل الوثيقة التى كتبها رسول الله ﷺ مع المسلمين ومع اليهود دلالات مهمة نلخصها فيما يلى:

أ- إن كلمة الدستور هى أقرب إطلاق مناسب فى اصطلاح العنصر الحديث على هذه الوثيقة ؛ وهى إذا كانت بمثابة إعلان دستور فإنه شمل جميع ما يمكن أن يعالجه أى دستور حديث يعنى بوضع الخطوط الكلية الواضحة لنظام الدولة فى الداخل والخارج أى فيما يتعلق بعلاقة أفراد الدولة مع بعض وفيما يتعلق بعلاقة الدولة مع الآخرين .

وهذا دليل على أن المجتمع الإسلامى قام منذ أول نشأته على أسس دستورية تامة ، وهكذا يؤكد أن الإسلام دين يجمع ما بين العمل والعبادة وليس العبادة فقط .

ب- يدلنا البند الأول من الوثيقة على أن الإسلام - هو وحده- الذى يؤلف وحدة المسلمين وهو وحده الذى يجعل منهم أمة واحدة وعلى أن جميع الفوارق والمميزات فيما بينهم تذوب وتضمحل ضمن نطاق هذه الوحدة الشاملة .

جـ- يدلنا البند الثانى والثالث على أن من أهم سمات المجتمع الإسلامى ظهور معنى التكافل والتضامن فيما بين المسلمين بأجلى صوره وأشكاله فهم - جميعًا- مسئولون عن بعضهم فى شئون دنياهم وآخرتهم ، وإن عامة أحكام الشريعة الإسلامية

(١) فقه السيرة للبوطي ١٥٦ - ١٥٧ .

إنما تقوم على أساس هذه المسئولية وتحدد الطرائق التنفيذية لمبدأ التكافل والتضامن فيما بين المسلمين .

د- يدلنا البند السادس على مدى الدقة فى المساواة بين المسلمين لا من حيث إنها شعار براق للدعاية والعرض ؛ بل من حيث ركن من الأركان الشرعية الهامة للمجتمع الإسلامى ، ولتطبيق هذه المساواة بين المسلمين ما قرر النبى ﷺ فى هذا البند بقوله: ذمة الله واحدة يجير عليها أدناهم ، ومعنى ذلك: أن ذمة المسلم أيا كان محترمة وجواره محفوظ لا ينبغى أن يجار عليه فيه ، فمن أدخل من المسلمين أحدًا فى جواره ، فليس لغيره حاكمًا أو محكومًا أن ينتهك حرمة جواره هذا والمرأة المسلمة لا تختلف فى هذا عن الرجل إطلاقًا .

روى الشيخان وغيرهما أن أم هانئ بنت أبى طالب ذهبت إلى رسول الله ﷺ عام الفتح فقالت: يا رسول الله ﷺ زعم ابن أمى عليٌّ أنه قاتل رجلاً أجرته: فلان ابن هبيرة فقال رسول الله ﷺ : «قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ» .

هـ- يدلنا البند التاسع فى معاهدة اليهود على أن الحكم العدل الذى لا ينبغى للمسلمين أن يهرعوا إلى غيره فى سائر خصوماتهم وخلافاتهم وشئونهم إنما هو شريعة الله - تعالى- وحكمه وهو ما تضمنه كتاب الله - تعالى- وسنة رسوله ﷺ .

و- كما تدل معاهدة الرسول ﷺ مع اليهود على مدى العدالة التى اتسمت بها معاملة النبى ﷺ فيما بين المسلمين واليهود ولو لم تتغلب على اليهود طبيعتهم من حب للمكر والغدر والخديعة ؛ فما هى إلا فترة وجيزة حتى ضاقوا ذرعًا بما تضمنته بنود هذه الوثيقة التى التزموا بها فخرجوا على الرسول ﷺ والمسلمين بألوان من الغدر والخيانة[1] .

أَهَمُّ الأَحْدَاثِ الاجْتِمَاعِيَّةِ فِي العَامِ الأَوَّلِ الهِجْرِيِّ:

- بِنَاءُ النَّبِيِّ ﷺ بِالسَّيِّدَةِ عَائِشَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا):

تزوجها رسول الله ﷺ فى شوال ، وعمرها ست سنين ، وبنى بها فى شوال فى السنة الأولى من الهجرة وعمرها تسع سنين [2] .

* * *

(١) فقه السيرة للبوطي مختصرًا ١٦٠ - ١٦٣ .

(٢) سيرة الرسول أبو عمار ص ٢٦ .